محطات الإعجاز القرآني وأنواعه

Ezzat ASSAYEDAHMAD*

Makale Geliş: 20.03.2019
Makale Kabul: 29.04.2019

ملخص البحث

من أبرز المشكلات المثارة فى عالمنا المعاصر مشكلة الإعجاز العددى فى القرآن الكريم. يبدو ظاهراً أنَّ المشكلة قائمة بَيْنَ المسلمين أو عندهم فقط، وقبلها وبالطريقة ذاتها كانت مشكلة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ولم تزل أيضاً قائمة إلىٰ الآن.

أصل المشكلتين واحد هو التشكيك فى القرآن الكريم وفى أنَّهُ كتاب الله تعالى. يبدو كما أشرنا أن المشكلة هى مشكلة إسلامية وحسب، بَيْنَ المسلمين أو عندهم فقط، بينما هى فى حقيقة الأمر مشكلة عالمية تدار فى الخفاء أكثر مما تبدو عليه فى العلن.

كلما ظهر نوع جديد من الإعجاز فى القرآن الكريم تسارع دهاة أعداء الله والإسلام إلىٰ التشكيك فيها بدهاء ليصل الأمر إلىٰ دفع السطحيين من المسلمين حَتَّىٰ الفقهاء منهم إلىٰ التنطع للتبرؤ من هٰذه الإعجازات الجديدة بل ومحاربتها فى كثير من الأحيان كما فعلوا مع كثير من المعجزات الصريحة صراحة لا تقبل الشك بحال من الأحوال. ولذٰلك قلت إن المشكلة تبدو أنَّها بَيْنَ المسلمين فقط فيما هى خلاف ذٰلكَ؛ إنَّهَا أوسع مدى من ذٰلكَ بكثير.

فى هٰذا البحث نعرض لمحطات البحث فى الإعجاز القرآنى وأنواعها ونناقش عرضاً وسريعاً بعض الأوهام التى تدور فى هٰذا المستوى من الكلام، ولا نفند كل الادعاءات والاتهامات الموجهة إلىٰ الإعجاز القرآنى لأنها تحتاج إلىٰ بحث آخر مستقل.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الإعجاز، المعجزة، العددى، المشكلة.

İ'câz-ı Kur'an'ın Aşamaları ve Türleri

ÖZET

Günümüzde ortaya çıkan en belirgin sorunlardan biri, Kur'an-ı Kerim'deki sayısal mucizeler sorunudur. Sorunun Müslümanlar arasında var olduğu veya sadece onlar ait olduğu anlaşılmaktadır. Aynı şekilde bundan önce Kur'an'da bilimsel mucizeler sorunu vardı ve günümüzde de varlığını sürdürmektedir.

İki sorunun temeli de aynıdır, aslında Kur'an'ı ve onun Allah'ın kitabı olup olmadığını sorgulamaktan kaynaklanmaktadır. Belirttiğimiz gibi, sorunun yalnızca İslamcılar arasında olduğu, yani Müslümanlar arasında ve sadece onlara ait olduğu anlaşılmaktadır. Ancak, aslında, göründüğünden daha çok gizli bir şekilde cereyan eden evrensel bir sorundur.

* Prof. Dr., Yakındoğu Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi (Near East University, Faculty of Theology

Kur'an'da ne zaman yeni bir mucize ortaya çıktıysa, Tanrı'nın en hızlı düşmanları ve İslam karşıtları bu mucizeleri Kur'an hakkında şüphe uyandırmak için ustaca kullanmaktadırlar. İlmi derinliği olmayan Müslümanlar hatta fakihler bile bu işten beri olduklarını göstermeye çalışmaktadırlar. Dahası bu kişiler, hiçbir şekilde şüphe götürmeyen açık seçik ortada olan mucizelere karşı yaptıkları gibi işi, bazen bu görüşlerle savaşmaya vardırırlar. Bu yüzden gerçekte öyle olmadığı halde sorunun sadece Müslümanlar arasındaymış gibi göründüğünü vurguladık. Oysa sorunun boyutları bundan çok daha büyüktür.

Bu araştırmada, Kuran mucizelerinde araştırma aşamalarını ve türleri sunulacaktır. Daha sonra, bu konuyla ilgili bazı evhamlar hızlı bir şekilde tartışılacaktır. Kuran mucizelerine yöneltilen tüm iddia ve suçlamalar ele alınmayacaktır. Çünkü bu konu ayrı ve müstakil bir araştırmayı gerekli kılmaktadır.

Anahtar Sözcükler: Kur'an, İ'câz, Mucize, Sayısal, Sorun.

The Stages Of Quranic Miracles And Types

ABSTRACT

One of the most prominent problems raised in our contemporary world is the problem of numerical miracles in the Holy Quran. It seems that the problem exists between Muslims or only for them. Before that and in the same way there was the problem of scientific miracles in the Koran, and still exist to date.

The origin of the two problems is one in fact, which is questioning the Holy Quran, and questioning it as the book of Allah. It seems, as we have pointed out, that the problem is only an Islamic problem, that is, between the Muslims and for them only. But it is, in fact, a global problem that is managed in secret and secret, which we do not see clearly.

Whenever a new type of miracle appeared in the Koran, the fastest enemies of God and the enemies of Islam to discredit them subtly, until it comes to make some Muslims, including the Jurists to confusion and disrespect from these new vacations, and even fight them in many cases. This is how they did with many clear and clear miracles that cannot be doubted. So I said that the problem seems to be among Muslims only, but it is much larger.

In this research, we present the stages of research in the Quranic miracles and their types. We then discuss, quickly, the delusions that are taking place at this level of speech. We do not discuss all the allegations and accusations directed at the Qur'anic miracle because they need to be examined in a different way.

Key words: Quran, İ'câz, Miracle, Numerical, Problem.

محطات الإعجاز القرآني وأنواعه

من الطبيعى تماماً أن يكون الكلام علىٰ الإعجاز القرآنى موضع خلاف واختلاف وجدل بَيْنَ المؤمنين وغير المؤمنين. بل من الطبيعى أن تكون موضوعات الإعجاز القرآنى موضع خلاف بَيْنَ المؤمنين أنفسهم. ولٰكنَّ الطريف الغريب أنَّ حدَّةَ الاختلاف والجدال فى الإعجاز القرآنى بَيْنَ المؤمنين أنفسهم لا تقل حدَّةً عمَّا هى بَيْنَ المؤمنين وغير المؤمنين، وهٰذا أمر غريب عجيب.

مناقشة هٰذا الأمر إن كان ممكناً مناقشتها فى ورقة عمل واحدة فإنَّهُ من غير المستحسن فعل ذٰلكَ لما يتطلبه الأمر من ابتسار واختزال. ولذٰلك من المستحسن تجزئة الموضوع إلىٰ موضوعين علىٰ الأقل أولهما أن نلقى ضوءاً علىٰ تاريخية الإعجاز القرآنى، والمحطَّات التى مر بها الكلام فى الإعجاز القرآنى، وهٰذا ما سيكون موضوعنا الآن، وثانيهما فى حقيقة نقد المعجزات العدديَّة فى القرآن الكريم وقد أفردنا لذٰلكَ حديثاً خاصًّا فى بحثٍ آخر مستقلٍ عن هٰذا البحث، بيَّنَّا فيه أنواع المتحدثين فى الإعجاز القرآنى ووجوهاً من طبيعة نقد الإعجاز العددى علىٰ نحو خاصٍ.

الآن نبيِّن تاريخية الكلام فى الإعجاز القرآنى. ونقطة الانطلاق التى تفرض ذاتها علينا هى العلاقة بَيْنَ التَّفسير والكشف عن الإعجاز. لا شكَّ فى أنَّ هناك اختلافات فى الموضوع قديماً والآن. ولذٰلك كانت قديماً كتب التَّفاسير، وكانت كتب الإعجاز.

لن أستطرد فى تفاصيل العلاقة بَيْنَ التَّفسير والكشف عن الإعجاز حَتَّىٰ لا يطول بنا الأمر، وهو أمر يستحق بحثاً مستقلاً. ولٰكن أتساءل: ماذا أضاف المفسرون منذ بدايات القرن العشرين علىٰ ما جاء به المفسرون القدماء غير المعجزات العلميَّة التى بدأت تتكشف متطابقةً مع ما جاء القرآن الكريم تطابقاً مدهشاً استدعى تسمية تفسير الآية إعجازاً؟

وأتساءل أيضاً: لماذا منذ القديم سمي بالإجماع تفسير القرآن ولم يسم شرح القرآن؟

منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام بُنى فهم القرآن علىٰ أنَّهُ معجزٌ يتحدَّى الإنس والجان، وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات الدَّالة هٰذه الدَّلالة، وفى الأحاديث الشَّريفة الكثير مما يؤدِّى إلىٰ هٰذا المعنى وهٰذا الفهم، ولذٰلك ما صحَّ بحالٍ من الأحوال أن يزعم أحدٌ أنَّهُ يشرح القرآن، وإنما ضمن أصولٍ وشروطٍ وضوابط معيَّنة يفسر ويؤوِّل بقدر ما علم وعلىٰ النَّحو الذى فهم، غير قاطعٍ باحتمالات أُخْرَىٰ مزامنة لها أو لاحقة عليها.

ولذٰلك لم يوجد تناقض بَيْنَ المفسرين القدماء ولا حَتَّىٰ المعاصرين وإن تنوَّعت اتجاهاتهم واختلفت أساليبهم وغاياتهم التَّفسيريَّة واختلفت رؤاهم واستنتاجاتهم، فالتَّفاسير القديمة علىٰ كثرتها وكذٰلكَ المعاصرة تقوم علىٰ مبدأ واحد وراءه نيَّةٌ صادقة هى فهم القرآن الكريم، وفهم القرآن الكريم واجبٌ بأمر من الله تعالى فى القرآن الكريم، قال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اخْتِلَافًا كَثِيرًا»[1]، وقال عزَّ جل من قائل: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»[2]. وقال سبحانه وتعالى: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»[3].

قد يعترض معترض قائلاً: ألا تتناقض هٰذه الآيات مع قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله»[4].

لا يوجد أى تناقض أبداً، ولن يوجد أى تناقض فى القرآن الكريم. الحقيقة التى يجب أن تضعها فى ذهنك أنَّ تأويل القرآن الكريم، أى فكفكة رموزه وإشارته والكشف عن دلالاتها أمر لا يعلمه بتمامه وكماله إلا الله تعالى، أعنى أنَّ معجزات الله تعالى فى قرآنه الكريم أكبر وأكثر وأعظم مما تتخيلون، وأقطع يقيناً بأنَّهُ من شبه المحال بل من المحال أن يحيط بها إنسانٌ واحدٌ. وقد تمهَّد الله جل وعلا ببيان ما فى القرآن من معجزات، فقال سبحانه وتعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ(88)»[5]، وقال عز وجل من قائل: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»[6].

وهٰذه الآيات الأخيرة فى حقيقة الأمر قطعٌ لدابر الجدل فى أنَّ ترتيب آيات القرآن الكريم وترتيب سوره ورسمه أى طريقة كتابته كلها أمور توقيفية لا مجال للجدل فيها، وفى القرآن الكريم براهين علىٰ ذٰلكَ يقف الإنسان أمامها مسلوب الإرادة من شدَّةِ الدَّهشة، سنقدِّمها قريباً فى بحوث خاصَّةٍ إن شاء الله تعالى.

إذن أوضح الله تعالى لنا بأنَّ بيان كلَّ ما فى القرآن أمرٌ مردُّه إلىٰ الله تعالى، ولٰكنَّهُ سبحانه وتعالى أمرنا أن نجتهد فى الكشف عمَّا نستطيع مما فيه من معجزات، ولعن من يكتم ما يعلم من البينات فى أكثر من آيةٍ منها قوله تعالى فى سورة البقرة: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ»[7].

صحيحٌ أنَّ كثيراً من المفسرين ذهب إلىٰ أن المقصود هنا هم اليهود إلا ظاهر الآية كما قال الإمام الشعراوى: «والحق سبحانه وتعالى ينبه المؤمنين بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلىٰ أنَّ هٰذا الجزاء من الطَّرد ومن اللعن ليس مقصوراً علىٰ هٰؤلاء، وإنَّمَا ينسحب ويشمل كلَّ من يكتم ما أنزل الله من البينات. إذن فذٰلكَ فيه واقع مما حدث من أهل الكتاب، وفيه أيضا تحذير للذين يؤمنون بالإسلام أن يكتموا بينات الله؛ وإلا صاروا إلى ما صار إليه هؤلاء، وهو اللعن»[8].

1 القرآن الكريم ـ سورة النساء ـ الآية 82.
2 القرآن الكريم ـ سورة محمد ـ الآية 24.
3 القرآن الكريم ـ سورة ص ـ الآية 29.
4 القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ الآية 7.
5 القرآن الكريم ـ سورة ص ـ الآيتان 87، 88.
6 القرآن الكريم ـ سورة القيامة ـ الآيات 16 إلىٰ 19.
7 القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ الآية 159.
8 الشعراوى: **تفسير الشعراوي** ـ أخبار اليوم ـ القاهرة ـ 1991م ـ المجلد الثانى ـ ص 673.

لنعد إلىٰ آية التأويل، قال تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»، قال: (تأويله) ولم يقل تأويل المتشابه منه الذى فيه الاختلاف، أى لا يعلم إلا الله تعالى تأويل المحكم منه والمتشابه، وهٰذا يعنى أنَّ المحكم ذاته ينطوى علىٰ معجزاتٍ وليس المحكم محضُ آياتِ أحكامٍ أو آياتٌ واضحة لا حاجة للنظر فيها. وقد تبيَّن ذٰلكَ بالدليل بل بالأدلة الكثيرة التى تجدونها فى المعجزات القرآنية.

والنَّتيجة، بعيداً عن التَّفاصيل وهى كثيرة، ليس من الضرورى أو الحتمى أن يكون التَّفسيرُ بحثاً فى الإعجاز ولٰكنَّ البحث فى الإعجاز بحث فى التَّفسير، أى إنَّ الكشف عن الإعجازات العلميَّة والعدديَّة وغيرها هى امتداد للتَّفسير أو جزء مكمِّلٌ له وليس بديلاً عنه ولا موازياً له. ومن جهة أُخْرَىٰ فإنَّ من مهمَّة التَّفسير الكشف عن المعجزات فى القرآن الكريم. أمَّا أمر سلطة المعجزات علىٰ التَّفسير فهو أمرٌ فقهىٌّ يختصُّ به العلماء الثقاة ولا يحقُّ لغير أهل الاختصاص والكفاءة أن يفتى فى ذٰلكَ ويثير الفتن.

أقول من يفتى ولا أقول من يتكلَّم أو يتكلم فى الإفتاء، قال عليه الصلاة والسلام: «نَضَّرَ الله عبدًا سَمِع مقالتى فوعاها، فبَلَّغها مَن لَم يَسْمعها، فرُبَّ حامل فِقْه إلىٰ مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فِقْه لا فِقْهَ له»[9]. الوعى شرطٌ سابقٌ علىٰ النَّقل فالنَّقل من غير وعى ضرر وأذى، وفى هٰذا الموضوع الكثير من الكلام.

أختم هٰذه الفكرة بالتَّذكير بأنَّ فهم القرآن منذ البداية بنى علىٰ أنَّهُ معجزٌ يتحدَّى الإنس والجان، ويقود إلىٰ ذٰلكَ آيات كثيرةٌ منها صريح التَّحدى آيات التحدى الإعجازى الصريحة كثيرة أشهرها قوله تعالى: «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ»[10]، وقوله تعالى: «قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ»[11]، وقوله عز وجل من قائل: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ»[12]، وقوله سبحانه وتعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»[13]، وقوله عزَّ وجلَّ من قائلٍ: «قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيرا»[14]، ومنها قوله تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: فى القرآن الكريم: «عجائبه لا تنقضى». ولذٰلك أطلق الأقدمون اصطلاح التفسير ولم يقولوا الشَّرح. وهٰذا يعنى أنَّهُ لا يوجد ما يمنع من عدِّ التَّفسير بحثاً فى الإعجاز اجتهد فيه المفسرون ما اجتهدوا واكتشفوا ما اكتشفوا حَتَّىٰ وصل الأمر إلىٰ أيامنا وما فيها من معطيات جديدة.

9 هذا الحديث قد صحَّ من رواية ابن مسعود، رواها سماك بن حرْب عن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه به؛ أخرجَها أحمد (4157)، والترمذى (2657)، وابن ماجه (232)، وابن أبى حاتم (1/ 9/1)، وأبو يعلى (5126، 5296)، وابن حِبَّان (69)، والبيهقى فى المعرفة (1/3)، والرامَهُرْمُزى فى المحدث الفاصل (6)،(7)، والخليلى فى الإرشاد (299/2)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (40/1)، والخطيب فى الموضح (294/2) من رواية سماك وعبد الرحمن بن عابس، كلاهما عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، وإسناده حَسَنٌ.

10 القرآن الكريم ـ سورة الطور ـ الآية 34.

11 القرآن الكريم ـ سورة هود ـ الآية 13.

12 القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ الآية 23.

13 القرآن الكريم ـ سورة يونس ـ الآية 38.

14 القرآن الكريم ـ سورة الإسراء ـ الآية 88.

المرحلة اللغوية

علىٰ هٰذا الأساس يمكن القول إنَّ المرحلة الأولى من مراحل الكشف عن الإعجاز القرآنى هى المرحلة اللغوية بكلِّ موضوعاتها وميادنها وفروعها ودلالاتها؛ البيان والبلاغة والأسلوب والسَّرد والنَّحو والأحكام وغير ذٰلكَ كثير، بل يمكن القول إنَّ النَّظر والتَّبصُّر فى الإعجاز الإلهيّ فى القرآن الكريم كان الحافز والمحور الأبرز المشترك بَيْنَ المفسرين والدارسين جميعهم بدليل مناهج البحث والنَّظر والنتائج وبديل العناوين ذاتها المركزة علىٰ الإعجاز القرآنى وهى بالعشرات منذ عصور الإسلام الأولى إلىٰ يومنا هٰذا. وأعنى هنا فقط المنحىٰ اللغوى فى الكشف عن المعجزات القرآنيَّة.

المرحلة اللغوية هٰذه من تفسير القرآن الكريم والكشف عن معجزاته امتدت منذ صدر الإسلام إلىٰ أواخر النِّصف الأوَّل من القرن العشرين. والتَّفسيرات كلُّها علىٰ امتداد نحو 1400 سنة كانت تتمحور حول اللغة وتنطلق منها. حَتَّىٰ لقد ذهب الجرجانى[15] والباقلانى[16] وغيرهما إلىٰ أنَّ الإعجاز القرآنى إنَّمَا هو فى النَّظم، بل اقترب كلاهما من حصر الإعجاز بالنَّظم أى بالتركيب اللغوية ودلالاته. وبهما يَحتجُّ اليوم رافضو الإعجاز العددى فى القرآن الكريم؛ إن أصاب القدماء بما علموا فقد أخطأ المعاصرون بما لم يعلموا. وعلىٰ أيّ حالٍ، فإنَّ المنحىٰ اللغويَّ لم يتوقَّف ولم ينته ولن ينتهى، وأبيِّنُ ذٰلكَ من خلال النِّقاط التالية:

النقطة الأولى: الحقيقة الأكيدة هى أنَّهُ علىٰ الرَّغْمِ من مئات الَّتفاسير المبنية علىٰ اللغة منطلقاً وأداةً فإنَّ الجانب اللغويَّ لم يُستنفد وما زال أمامنا معجزات هائلةٍ فى إطار اللغة المعجمية علىٰ أقل تقدير، وقد بَدَأت تتكشف بعض هٰذه المعجزات فى الفيزياء والفلك والبيولوجيا وغيرهما مما لم يكن للقدماء أن يفهموها كما نفهمها اليوم بسبب المعطيات العلمية التى وصلنا إليها، وأبسط مثال علىٰ ذٰلكَ قوله تعالى فى سورة النمل: «حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»[17]. وقد أفردنا لذٰلكَ حديثاً خاصًّا شبه مطوَّلٍ. فمعنىٰ (قالت نملة)، ومعنىٰ (مساكنكم) ومعنىٰ (يحمنطكم) من الناحية المعجمية فقط لم يكن من الممكن أن يُدْرَكَ علىٰ حقيقته قبل العقدين الأخيرين من القرن العشرين، ولا يمكن أن تجد فى التَّفاسير السَّابقة علىٰ ذٰلكَ كلِّها أىَّ تفسير يطرق المعنى الحقيقى وإن كنا نؤكد أنَّها لم تخطئ التفاسير؛ لم تخطئ التفاسير فى تفسير هٰذه الآية ولٰكنَّهَا لم تصل إلىٰ كنهها الذى لم يكن يمكن أن نفهمه إلا بعد دخولنا مساكن النمل والنظر فى بنية مملكة النمل والتركيب البيولوجى للنمل، وهٰذا ما لم يكن قبل العقدين الأخيرين من القرن العشرين... هٰذا مثال بسيط والأمثلة جدُّ كثيرة مما لم يطرق بابه بعد؛ السماء والطارق، النجم الثاقب، الجوار الكنس، والنهار إذا جلاها... وكثير جدًّا فى مختلف الموضوعات والميادين.

15 كان هٰذا مجمل موضوع كتابه: **دلائل الإعجاز** ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ 1984م

16 يمكن تلمس ذٰلكَ فى مواضع عدة من كتابه: **إعجاز القرآن** ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ 1971م.

17 القرآن الكريم ـ سورة النمل ـ الآية 18.

النقطة الثانية: هى امتداد للنقطة الأولى من جهة مختلفة. وهى أَنَّهُ حَتَّىٰ فى إطار اللغة البسيطة والجملة البسيطة مجرَّدة من محمولات إضافيَّة فإنَّ ثَمَّة أبعاداً دلاليَّة وإعجازية قلَّ من ينتبه إليها، تمرُّ معنا بوصفها عبارات عادية فيما فيها عمقاً دلاليًّا أبعد بكثير مما كنا نتخيل وأخطر أيضاً. وقليل يعرف قصة الأعرابى مع الأصمعيّ وهى طويلة نسبيًّا أكتفى بأواخرها عندما قرأ الأصمعى للأعرابى سورة الذاريات حَتَّىٰ وصل إلىٰ قوله تعالى «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون...»... فصاح الأعرابى وقال: يا سبحان الله ..!من ذا أغضب الجليل حَتَّىٰ يحلف؟ أفلم يصدقوه حَتَّىٰ ألجؤوه إلىٰ اليمين...!! قالها ثلاثًا وخرجت روحه[18] .هل تدركون ماذا أدرك الأعرابى فى هٰذه الآية؟ وكم آية مثلها فيها ما لا ندركه علىٰ أساس المستوىٰ اللغوى البسيط العادى فقط. سنعود إلىٰ القصة بعد قليل. الأمثلة فى حقيقة الأمر كثيرة جدًّا جدًّا يستحق كلٌّ منها وقفة أو رُبَّما وقفات خاصَّة ومستقلة.

النقطة الثالثة: المسألة التى تستدعى التَّوضيح هنا هى أَنَّهُ علىٰ الرَّغْم من أنَّ المنحىٰ اللغوى هو الأداة الأساس فى التَّفسير والكشف ضمناً عمَّا يراه المفسرون من معجزات إلَهيَّه فى القرآن الكريم، فقد كانت لدىٰ الكثير من المفسرين إشراقات والتفاتات سابقةٍ لعصرها بدأت مع الصَّحابة الكرام ومن أشهر الأمثلة علىٰ ذٰلكَ استنتاج ابن عباس رضى الله عنهما لموعد ليلة القدر علىٰ أساسٍ حسابيّ.

النقطة الرابعة: فى كلّ ما سيأتى من أنواع الإعجاز، ما علمنا منه حَتَّىٰ الآن وما لم نعلم بعد، لا يمكن الخروج من اللغة ولا الاستغناء عنها، ستظلُّ اللغة حروفاً وكلمات وجملاً بل وحركات الإعراب ونقط الحروف جزءاً من الإعجاز وأدوات له، ولن يكون المعنى خارج السِّياق ولا خارج اللغة بحالٍ من الأحوال.

لذٰلكَ كلّه لا يمكن الفصل بَيْنَ الإعجاز العلميّ واللغة ولا بَيْنَ الإعجاز العدديّ واللغة، وحَتَّىٰ مع اكتشاف أنماط أو موضوعات إعجازية أُخْرَىٰ من قبيل الهندسة الصَّوتيَّة وهى أمرٌ يحتمل الكشف عنه قريباً، أو غيرها... فإنَّ اللغة ستظلُّ أداة لا يمكن تحييدها أو إخراجها من دائرة الإعجاز القرآنى، ورُبَّما لذٰلكَ ذكَّرنا رب العالمين مراراً بالعلاقة بَيْنَ القرآن واللغة العربية. أربع عشرة آية يذكرنا الله تعالى بأن القرآن عربى ولسنا نحتاج إلىٰ ذٰلكَ أصلاً لندرك أن القرآن نزل بلسان عربى. فلماذا هٰذا التكرار للتذكار؟ لا أطيل وإنما فقط أقول إِنَّهُ لفت نظر إلىٰ العلاقة بَيْنَ الإعجاز القرآنى واللغة العربيَّة وارتباطهما بعضهما ببعض.

النقطة الخامسة: نتيجة لما سبق وخلاصة له فإنَّ الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم وإن كان أول مرحلة من مراحل الكشف عن الإعجاز القرآنى فإنَّهَا مرحلة مستمرَّةٌ لم تتوقَّف ولن تتوقَّف، لم تنتهى ولن تنتهى. بل إنَّ التطورات علىٰ مختلف الصُّعد والمستويات والميادين ستضخ دماءً جديدةً فى البحث اللغوى فى القرآن الكريم، والكشف عن تفاسير جديدة لكلمات أو عبارات أو آيات لم تكن ممكنة من قبل.

18 القصة مذكورة عند القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ـ ٤٢/ ١٧. وعند البيهقى: شعب الإيمان ـ ٣٧٨/ ٣....

النقطة السادسة: النُّقطة السَّابقة تقودنا إلىٰ مسألةٍ مهمَّةٍ جدًّا وهى احتمال وجود من يستنتج من هٰذا الكلام أو يستند إليه للطَّعن فى التَّفاسير السَّابقة أو بعضها. احتمال وجود الأشخاص موجودٌ ولٰكنَّ احتمال قبول الطَّعن فى التَّفاسير السَّابقة غير موجودٍ ولا مقبولٍ. ولا أطيل فى هٰذه المسألة أكتفى بالقول: «كن أفقه من القرطبى أو ابن كثير أو سيد قطب وأتقى منهم ثمَّ انتقدهم، وما دون ذٰلكَ فاصمت».

النقطة السابعة: وهٰذه مسألة ناقشتها فى موضع آخر ولا أطيل فيها. لن يكون أحدٌ أفقه من كفار قريش فى اللغة العربية وأعرف منهم بها، وقد تتبعوا القرآن وانبهروا بإعجازه ولم يستطيعوا أن يجدوا فيه خللاً فى حرف أو تركيب أو جملة أو أسلوب، فإذا كان أعرف النَّاس فى لغة العرب وأشدهم عداءً للقرآن لم يجدوا فيه أدنىٰ خللٍ لغوى فليستح أىُّ واحد يزعم أنَّهُ وجد خطأً أو خللاً لغويًّا من أىِّ نوع فى القرآن الكريم.

علىٰ هٰذا النَّحو اتَّضحت لوحة الإعجاز القرآنى شكليًّا: نصٌّ لا خلل فيه ولا عيب ولا نقص ولا خطأ من الناحية اللغوية بكل مستوياتها وميادينها وفروعها، وفوق ذٰلكَ هو مُعْجِزٌ فى لغته وأسلوبه وتركيبه وبلاغته وجماله وبهائه وكماله. وبعد ذٰلكَ سيكون معجزاً يتحدىٰ كلَّ عصر بما يأتى به عباقرته من اكتشافات واختراعات وإنجازات. كما سيبدو لنا فى المراحل التالية.

مرحلة الإعجاز العلمي

سنطلق اسم مرحلة الإعجاز العلمى علىٰ المرحلة التى تكَشَّفَت فيها حقائق علميَّة علىٰ أيدى علماء من هنا وهناك وتبيَّن بعد حينٍ قريبٍ أو بعيدٍ أنَّ هٰذه الاكتشافات العلميَّة التى تَمَّت فى القرن العشرين غالباً أو القرن التَّاسع عشر إنَّما هى موجودةٌ فى القرآن الكريم قبل 1300 سنة علىٰ الأقلِّ بتفصيلٍ مدهشٍ يفوق اكتشاف العلماء فى كثير من الأحيان. وهٰذه الحقائق العلمية كثيرةٌ جدًّا فى حقيقة الأمر توزعت بَيْنَ الطِّبِّ والبيولوجيا والفيزياء والجيولوجيا وغيرها. وأحب فى هٰذا الإطار أن أبيِّنَ هنا بعض الحقائق

الحقيقة الأولى: هى أنَّ أكثر هٰذه الاكتشافات العلميَّة جاءت علىٰ أيدى علماء غربيين أو غير مسلمين فى الحضارات الأُخْرَىٰ غير الإسلاميَّة، وبالمصادفات أو المتابعات اكتشف العلماء المسلمون وجود هٰذه الاكتشافات فى القرآن الكريم، من أشهرها:

1 ـ **مراحل تكوُّن الجنين**: مراحل تكون الجنين والإعجاز القرآنى فى وصف ذٰلكَ أمر أشهر من أن يحكى فيه، وقد أسلم بسببه عشرات بل ربَّمَا مئات الأطباء والبيولوجيين، فقد كان بدقَّة تأخذ الألباب، سبقت الإمكان العلمى والتقنى لمعرفته العلميَّة بألف وأربعمة سنة تقريباً... وكان وصفاً لا يمكن لغير الله أن يعلمه قبل مئات السِّنين تلك[19]. ومع وضوح الإعجاز فيه تجد من يجادل فى ذٰلكَ ويريد الطَّعن فيه. وتفاصيل ذٰلكَ باتت من مسلمات العلم الشَّهيرة اليوم.

19 راجع علىٰ سبيل المثال كتاب الدكتور محمد على البار: **خلق الإنسان بَيْنَ الطب والقرآن** ـ الدار السعودية للنشر ـ جدة ـ 1983م.

2 ـ **بصمات الأنامل**: كذٰلكَ أمر بصمات الأنامل التى لم تعرف إلا فى القرن التاسع عشر، وقد كانت تعبيراً صريحاً فى القرآن الكريم: «أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَه. بَلَى قَادِرِيْنَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَه»[20].

3 ـ **جثة الفرعون**: ومن الأمثلة التى يمكن إدراجها هنا اكتشاف جثّة فرعون بعد 1400 سنة من قوله تعالى فى القرآن الكريم: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ»[21]. وفى هٰذا وحده إعجاز يبهر الألباب. التفاسير القديمة كلها عجزت عن اكتشاف حقيقة معنى الآية فذهبت مذاهب مختلفة فى التفسير لفهم معنى «ننجيك»، لم تبتعد عن الصواب ولٰكنَّهَا كانت عاجزة عن معرفة أن جثة الفرعون ذاتها موجودة محفوظة[22].

وغيرها هٰذه الأمثلة توجد كثير من الأمثلة فى القرآن الكريم. منها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه بعد فى إطار هٰذا المستوى، والى عرفناه منها وضع الباحثون فيها كتباً كثيرة لا قليلة فى مختلف المجالات العلمية: فى السماء[23]، فى الفلك والنجوم والفضاء[24]، فى الظواهر الطبيعية[25]، وفى الجيولوجيا[26]، فى بيولوجيا الإنسان[27]، فى بيولوجيا وممالك الطير[28]، وفى عالم الحيوان[29]، وسوى ذٰلكَ غير قليل.

الحقيقة الثانية: هى أنَّنا سمعنا عن كثير أو قليل من الإعجازات العلمية فى القرآن الكريم تمَّ اكتشافها علميًّا فى القرن العشرين ولٰكن تمَّ طمسها والتَّعتيم عليها حَتَّىٰ بات من الصَّعب أن نصل إلىٰ مصادرها أو حَتَّىٰ حقيقتها. ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

1 ـ **التين والزيتون**: اكتشف فريق بحث يابانى مادَّة أطلقوا عليها اسم الميثالويندن، وهى مادَّة بروتينيَّة يفرزها مخ الإنسان والحيوان بكميات قليلة تحتوى علىٰ مادة الكبريت، لذا يمكنها الاتحاد بسهولة مع الزنك والحديد والفوسفور. وتعدُّ هٰذه المادَّة مهمَّة جدًّا لجسم الإنسان، إذ تعمل علىٰ خفض الكوليسترول والتَّمثيل الغذائى وتقوية القلب وضبط النَّفس. ويزداد إفراز هٰذه المادة من مخ الإنسان تدريجيًّا بدايةً من سن 15–35 سنة، ثمَّ يقلُّ إفرازها بعد ذٰلكَ حَتَّىٰ سن الستين عاماً، لذٰلكَ لم يكن من السَّهل الحصول عليها من الإنسان. لذا اتجهت الأنظار بحثاً عنها إلىٰ النباتات. إذ قام فريق من العلماء

20 القرآن الكريم ـ سورة القيامة ـ الآية 3.
21 القرآن الكريم ـ سورة يونس ـ الآية 92.
22 انظر علىٰ سبيل المثال: محمد حسن قنديل: **إعجاو القرآن العلمي وبالبلاغي** ـ دار ابن خلدون ـ القاهرة ـ 2006م.
23 الدكتور زغلول النجار: **من آيات الإعجاز العلمي؛ السماء في القرآن الكريم** ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ 2005م.
24 محمد إسماعيل الجاويش: **من عجائب الخلق في الكون العظيم** ـ الدار الذهبية ـ القاهرة ـ 2005م.
25 الدكتور محمد أحمد الصوفى: **آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل** ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ 2008م.
26 الدكتور زغلول النجار: **من آيات الإعجاز العلمي؛ المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم** ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ـ الطبعة العاشرة 2008م.
27 محمد إسماعيل الجاويش: **من عجائب الخلق في جسم الإنسان** ـ الدار الذهبية ـ القاهرة ـ 2005م.
28 الدكتور محمد أحمد الصوفى: **آيات الله في ممالك الكير والنحل والنمل والحشرات** ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ 2008م.
29 الدكتور زغلول النجار: **من آيات الإعجاز العلمي؛ الحيوان في القرآن الكريم** ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ 2006م.

اليابانيين بالبحث عن هٰذه المادَّة السِّحريَّة التى لها أكبر الأثر فى إزالة أعراض الشَّيخوخة، فلم يعثروا عليها إلا فى نوعين من النباتات هما التين والزيتون. وبعد أن تمَّ استخلاصها من التين والزيتون وجدوا أنَّ استخدامها من التين وحده أو من الزيتون وحده لم يعط الفائدة المنتظرة لصحة الإنسان، إلا بعد خلط المادة المستخلصة من التين والزيتون معاً.

المدهش الذى استحقَّ الوقوف عنده هو أنَّ هٰذا الفريق الطِّبى وصل إلىٰ أنَّ أفضل نسبة من النباتين لإعطاء أفضل تأثير كانت نسبة 1 تين إلىٰ 7 زيتون هى الأفضل. والمدهش فى ذٰلكَ أنَّ طبيباً سعودياً هو الدكتور طه إبراهيم خليفة تلقى الخبر فتابع البحث فى القرآن الكريم فوجد أنَّهُ ورد ذكر التين مرَّة واحدةً فى القرآن الكريم، أمَّا الزيتون فقد ذكر ست مرات ومرة واحدة بالإشارة ضمنياً فى سورة «المؤمنون». وحسبما أوردته صحيفة الأنباء الكويتية وموقع العربية، فى ذٰلكَ الحين (2014م) قام الدكتور طه بإرسال المعلومات التى حصل عليها وجمعها من القرآن الكريم إلىٰ فريق البحث اليابانى الذين أعلنوا إسلامهم، بعد أن تأكدوا من أن كل ما توصلوا إليه من أبحاث مذكور فى القرآن منذ 1428 سنة[30].

من البداهة بمكان أن تجد من يطعن فى الخبر ويشكك فيه. حسناً، مثل العادة لنقل إنَّ الخبر بذاته غير موجودٍ. تعالوا ننظر فى فوائد التين والزيتون من هٰذه الناحية تحديداً فى الكتب الطبية والكيميائية والصيدلانية... سنجد أنَّ النَّتيجة واحدة من خلال الدراسات العلميَّة المستقلَّة التى لم تعرف القرآن. وأصلاً سياق الآية التى جمعت التين والزيتون يدلُّ إلىٰ هٰذه النَّتيجة «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ»[31].

2 ـ **سد ذي القرنين**: مع آية السَّد الذى أشاده ذو القرنين سنجدنا أمام إعجازٍ علميٍّ مدهش فى كلِّ جملة من الآية. قال تعالى: «آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا»[32]، والآية التالية فى صفة السد بأنَّهُ متين جدًّا. «آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ» المعجزة العلميَّة الأولى التى لم تكتشف إلا فى العقود الأخيرة من القرن العشرين، «حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» المعجزة العلمية الثانية التى لم تكتشف إلا فى الحرب العالمية الثانية، والمعجزة الثالثة فى قوله تعالى «حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا» التى لم تكتشف إلا قبل بضع سنوات قليلة علىٰ يد العالمة ليلى عبد المنعم التى لها أكثر نحو مئة وثلاثين اختراعاً منها اختراع خرسانة مسلحة من حوائط البيتومين من الحديد المنصهر مضادة للزلازل والصَّواريخ، مستلهمةً ذٰلكَ بدقَّة من الآية السَّابقة. وتفاصيل ذٰلكَ طويلة وبعضها تخصصى يمكن الرجوع إليها فى المراجع المختصة لمن يريد. وفى الحاشية مقالين بسيطين ومختصرين لذٰلكَ[33].

30 المحرر: بعد أكثر من 1400 سنة، علماء يابانيون إكتشفوا معجزة القرآن الكريم في التين والزيتون ـ مجلة لها ـ بيروت ـ عدد 30/ 10/ 2014م.

31 القرآن الكريم ـ سورة التين ـ الآيتان 5 ـ 6.

32 القرآن الكريم ـ سورة الكهف ـ الآية 96.

33 منال المغربى: د. ليلى عبد المنعم، النابغة المخترعة والعابدة المتواضعة ـ شبكة الألوكة الثقافية ومجلة منبر الداعيات ـ 6/ 5/ 1433 هـ الموافق لـ 25/ 4/ 2012م. وكذٰلكَ: أحمد منصور: بالأدلة القرآنية رحلة ذي القرنين فضائية وياجوج وماجوج ليسوا على هذه الكرة الارضية ـ ملتقى أهل التفسير ـ 14/ 10/ 1433هـ الموافق لـ 31/ 8/ 2012م.

3 ـ **للذكر مثل حظ الأنثيين**: قصة حليب المرضعة معروفة منذ سبعينيات القرن العشرين وليست حديثة كما يتوهم الكثيرون. وهى باختصار أنَّ امرأتين ولدتا فى وقت واحدٍ وتاهت الممرضة بَيْنَ المولودين اللذين أحدهما ذكر وآخرهما أنثى والأمان ادعتا الذكر لهما، وكان طبيب مسلم يعمل فى المستشفى وتدخل فى الفصل بطلب تحليل الحليب لكلا الأمين، وتبين أنَّ أحدهما ضعف الآخر كما تروى القصة، فحكم بأن الذكر للتى تركيز حليبها ضعفا الثانية، مستنداً إلىٰ قوله تعالى: «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ». واختفت القصة من الأدبيات الطبية، وعادت مؤخراً من باب الطعن فى صحتها. وسنقبل بأن القصة كلها غير موجودة. ولٰكن ماذا لو حللنا حليب امرأة ولدت ذكراً وأُخْرَىٰ ولدت أنثى؟ نحن نتحدث طبيًّا هنا: هناك فرق فى التركيز والمكونات ولا جدال فى ذٰلكَ. لم يستطيعوا تجاهل ذٰلكَ ولٰكنَّهُم أنكروا أو أخفوا قصة الآية القرآنية وإن كانت فى المواريث كما يجمع الفقهاء. ولا أكثر من التفاصيل والمناقشات فى هٰذا الشَّأن يمكن الرجوع إليها فى الكتب الطبية وكتب الإعجاز العلمى للقرآن الكريم التى أشارت إلىٰ الموضوع...[34].

4 ـ **سر قميص يوسف**: العالم المصرى الدكتور عبد الباسط محمد السيد الباحث فى المركز القومى المصرى حصل علىٰ براءتى اختراع الأولى أوروبية رقم 0489991 – 2101/90313368.4، والثانية أمريكيَّة بالرقم 5227382 وكلاهما علىٰ اكتشاف قطرة عيون لمعالجة ابيضاض العين المعروف بالزَّرَق (الكتاركت) وهو المرض الذى أصيب به نبى الله يعقوب وشفى منه بقميص يوسف. كانت هٰذه إشارة إعجازية للطبيب ليبحث عن سرِّ علاج هٰذا المرض فى القميص ووصل إليه، واشترط أن يكتب علىٰ علبة الدواء: من وحى القرآن... ولٰكن لم نر ذٰلكَ... وتفاصيل القصة طويلة ومشوقة يمكن الرجوع إليها فى مواقع الإنترنت وغيرها من المراجع التى كتبت عنها[35].

ويوجد غيرها غير قليل. والحقيقة أنَّك ستجد من الطاعنين والمشككين فى الاكتشافات أكثر مما تجد ممن يؤكد إعجاز القرآن الكريم فى ذٰلكَ، وإذا تتبعت المشككين وجدتهم كلهم من الماديين أو ما يسمون بالعلمانيين. والتَّشكيك للطَّعن والتَّشويه وحرف الأنظار عن الإعجاز القرآنى. عندما أعلم علم اليقين أن هٰؤلاء انفسهم يطعنون فى حقائق لا تقبل الشَّك فى إطار الإعجاز القرآنى ويشوشون علىٰ الناس للتعتيم علىٰ حقائق الإعجاز وإخفائها فإنِّى لن أثق فى انتقاداتهم وطعونهم فى هٰذه الحقائق السَّابقة وإن لم أمتلك الدليل القاطع علىٰ صحتها.

الحقيقة الثالثة: هى الإعجازات العلميَّة بالمعنى الضَّيق المقصود هنا لم تأخذ حقها من العناية ولا من المتابعة ولا فى مدى الكشوفات العلمية الموجودة فى القرآن الكريم. ولذٰلك فمن الخطأ القول بأنَّ هٰذه المرحلة انتهت أو استنفدت، فاليقين القاطع أنَّنا سنجد الكثير الكثير أيضاً من الكشوفات

34 انظر علىٰ سبيل المثال: يمام سامى: **دراسة تؤكد أن حليب الرضاعة عند الأم يحدد جنس المولود** ـ موقع مجلة هى ـ عدد الاثنين 19/ 6/ 2017م.

35 المحرر: **براءة اختراع دولية لأول قطرة عيون قرآنية** ـ مجلة العربية ـ الرياض ـ العدد 224 ـ مضان 1416هـ – فبراير 1996م.

العلمية الجديدة المكتشف منها غير المعروف وغير المكتشف بعد إنما هى موجودة فى القرآن الكريم. هٰذا يقينى وستكشف الأيام القادمة هٰذه الحقيقة. سنجدها فى مختلف المجالات والعلوم فى الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والطب والفلك إلىٰ آخر المجالات، إذ توجد الكثير من الآيات التى تسترعى الانتباه فى هٰذا الشأن منها المطر، الرياح، النار، الذرة، عناصر الطبيعة... وهلم جرًّا.

مرحلة عليها تسعة عشر

رُبَّما يصح القول إنَّ الإعجاز العددى فى القرآن الكريم قديم يعود إلىٰ ابن عباس فى حساب موعد ليلة القدر[36]، وإلىٰ التفاتة ابن مسعود للعدد تسعة عشر علىٰ بساطتها إذا قال: «من أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فإنَّهَا تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله كلَّ حرفٍ منها جُنَّة من واحدٍ منهم»[37]. وغيرهم كثير علىٰ امتداد أربعة عشر قرناً، ولٰكنَّهَا كلها كانت التفاتات وإشارات ظلت بذوراً كامنة لعدم اكتمال الأرضية المناسبة لاستمرارها.

أوَّل نقلة نوعيَّة فى الكشف عن المعجزات القرآنية كانت مرحلة ما يمكن أن نسميها مرحلة عليها تسعة عشر. فكل ما كان قبل عام 1976م/ 1396هـ وهو العام الذى نشر فيه أحمد رشاد خليفة كتابه عليها تسعة عشر كان بمعنى من المعانى بحثاً عادياً وتقليدياً فى معجزات القرآن الكريم، ومع اكتشاف أحمد رشاد خليفة مركزية الرقم تسعة عشر فى القرآن الكريم بدأت مرحلة جديدة فى الكشف عن عالم بل عوالم من المعجزات القرآنية التى تتحدى البشرية متفرقة ومجتمعة. وهو أصلاً بمحض إعجازه اللغوى تحدَّى أبلغ بلغاء العربية علىٰ امتداد ما سبق وما سيأتى من عمر البشر.

أحمد رشاد خليفة ولد فى 19 تشرين الثانى/ نوفمبر 1935 وتوفى مقتولاً فى أريزونا بأمريكا فى 31 كانون الثانى/ يناير 1990م. هو مصرى تخرج مهندساً زراعياً فى مصر عام 1957م، وفى عام 1959م هاجر إلىٰ الولايات المتحدة للدراسة لمتابعة الدراسة والحصول علىٰ الدكتوراه. وفى العام 1974م استخرج رشاد العلاقة الإعجازية للرقم 19 والعلاقة بَيْنَه وبَيْنَ والقرآن علىٰ نحو عام، وكلماته وحروفه علىٰ نحو خاصٍّ، وقام بتأليف العديد من الكتب فيما يتعلق بالرقم 19 أشهرها كتابه الأساس: عليها تسعة عشر[38]. وفى عام 1988م ادَّعى النُّبوَّة وفى ذٰلكَ آراء، ولٰكن بعد ادعائه النُّبوَّة كثرت الأقاويل فيه، والصَّحيح عندى أنَّهُ لم يكن من قبل منحرفاً، وإنما ضل وتاه بعدما فتنته المعجزات المبهرة للرقم 19 فى القرآن الكريم أو ثَمَّة سبب آخر بعدما نال من الشهرة ما نال.

36 وذٰلكَ فى الحديث الشهير عن سماح عمر بن الخطاب لابن عباس بالجلوس مع كبار القوم، فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن سأل ابن عباس عنها، فقال: إنى لأعرف أين هى، إنها ليلة سبع وعشرين، فقال عمر: وما أدراك؟ فقال: إنَّ الله تعالى خلق السموات سبعاً، وخلق الأرضين سبعاً، وجعل الأيام سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وجعل الطواف سبعاً، والسعى سبعاً، ورمى الجمار سبعاً. فيرى ابن عباس أنها ليلة سبع وعشرين من خلال هذه الاستنباطات، وكأن هذا ثابت عن ابن عباس. ومن الأمور التى استنبط منها أن ليلة القدر هى ليلة سبع وعشرين أنَّ كلمة هى من قوله تعالى هى الكلمة السابعة والعشرون من سورة القدر.

37 هٰذا الأثر ذكره القرطبى فى **الجامع لأحكام القرآن** ـ مج 1 ـ ص 92، وابن كثير فى **تفسيره** ـ مج 1 ـ ص 18.

38 أحمد رشاد خليفة: **عليها تسعة عشر** ـ دار المعرفة ـ دمشق ـ 1982م.

هنا ستثور مشكلة كبرى عند صغار العقول، وهى مثارة أصلاً وموجودة بقوة فى السَّنوات الأخيرة. عندما صدر كتاب أحمد رشاد خليفة انبهر الجميع بالاكتشاف وأشادوا بعبقرية الرجل، وعندما ادَّعى النَّبوَّة أنكروا معجزة عليها تسعة عشر بالجملة والتفصيل، بل إنَّ كثيرين وصلوا إلىٰ اعتماد الأقوال المنكرة والضعيفة فى علوم القرآن فحذفوا الحروف وأضافوا الحروف والآيات ليبطلوا ما وصل إليه الرجل. وهٰذه سطحية محض وبلاهة صرف. وأنا أتحدث عن المؤمنين لا عن أعداء القرآن والدين. إنكار ادعائه واجب فلماذا إنكار الإعجاز القرآنى؟! لعمرى إنَّ ذٰلكَ من المضحكات المبكيات.

ما كشف عنه أحمد رشاد خليفة أمرٌ مدهش أكثر مما يتخيَّل الكثير من العباقرة أنفسهم، ليس أمراً عاديًّا علىٰ الإطلاق، ولسبب أو آخر أخذته العزَّة فى نفسه فادعى ورُبَّما توهم النبوة من هول ما بدا له من إعجاز القرآن الكريم، أو لسبب آخر كما أسلفنا.

توهمه النبوة، ادعاؤه النبوة أمرٌ باطل بلا خلاف ولا جدال. والأخذ منه بعد هٰذا الانحراف فيما يخص الانحراف غير مقبول بالمطلق... ولٰكن هل تبطل اكتشافاته عن إعجاز القرآن؟

لندع خليفة جانباً، من اكتشف مراحل خلق الجنين كافر لا علاقة له بالإسلام ولا بالدين، لماذا تقبلون نظريته؟ ونقيس إلىٰ ذٰلكَ الاكتشافات العلمية كلها.

مع الأسف، حَتَّىٰ اليوم، وعلىٰ الرَّغْمِ من كل الحقائق اليقينيَّة عن معجزة عليها تسعة عشر ما زال الكثيرون يتجشَّمون عناء دحض معجزة تسعة عشر، ويتكلَّفون ويتصنَّعون ويلفُّون ويدورون ويكادون يغيرون فى القرآن بل ويغيرون فى المجمع عليه كى يدحضوا ما جاء به أحمد رشاد خليفة لأنَّه ادعى النُّبوَّة. وأكثر ما يضحكك فى نقاشاتهم قولهم: هٰذا ما لم يقله الصَّحابة، وهٰذا ما لم نجده عند الزمخشرى والجرجانى وابن كثير... بل هناك من يرفض الإعجاز العددى جملة وتفصيلاً ويراه بدعة وضلالة وتضليلاً...

بالله عليكم ماذا تركتم لأعداء الإسلام وكفار قريش القدامى والمعاصرين؟

الإعجاز العددى فى القرآن الكريم حقيقة ويقين فوق الشَّك، فإن كنت لا تفهمه فلا تجادل فيما لا تفهم، ولا تفترى علىٰ القرآن لتزعم بطلان الإعجاز العددى. الإمام الشعراوى لم يدرك عهد الإعجاز العددى ولٰكنَّهُ أثار مسألة مهمة جدًّا، قال: «إنَّ أعداء الإسلام من غير العرب قد يقولون: القرآن بلغتكم وأنت عجزنهم عن مثله ولو كنا نحن نعرف اللغة العربية لأتينا بمثله»، انظر إلىٰ هٰذه الالتفاتة المدهشة، فكيف تحدَّىٰ القرآن الإنس جميعاً وهم لغات شتىٰ؟ هنا تأتى مهمة الإعجاز العددى الذى يتجاوز اللغات ويتحدى العقل البشرى بكل قدراته. وفيه ما فيه مما يجعل الألباء يقفون سامدين مبهوتين من شدة الإعجاز وإبهاره.

مرحلة العلاقات العددية

كانت مرحلة عليها تسعة عشر هى النُّقلة النَّوعيَّة الأولىٰ فى الكشف عن معجزات القرآن الكريم، وهٰذه حقيقةٌ لا يغيِّرها ولا ينفيها جنون مكتشفها لاحقاً وادعاءه أو توهمه النبوة. ولا حَتَّىٰ أن يكون

إيمانه ضعيفاً أو قويًّا... هى حقيقة علميَّة، وقد بيَّنا فى حديثنا عن نقد المعجزات[39] أن الحقيقة حقيقةٌ علىٰ أيِّ لسانٍ جاءت، فلا ننكر الحقيقة ولا نرفضها لأنَّ من قالها كافرٌ أو فاجرٌ. وإلا جعلنا أنفسنا مطية لمحاربة الحق والحقيقة بأنفسنا ورضانا.

النُّقلة النَّوعيَّة الثانية كانت مرحلة العلاقات العدديَّة فى القرآن الكريم. فما هى العلاقات العددية؟

نقصد بالعلاقات العددية الكشف عن إعجازات القرآن الكريم من خلال العلاقات العددية أو الرياضية بَيْنَ سور القرآن الكريم وآياته وكلماته وأحرفه، وفى مرحلة لاحقة أو فى تطور هٰذه المرحلة العلاقات العددية ستكون العلاقات الإعجازية بَيْنَ نقط حروف كلمات القرآن الكريم وما سبق من كلمات أو آيات أو سور، وكذٰلكَ سنصل إلىٰ مستوى الإعجاز فى حركات الحروف؛ الفتحة والضمة والكسرة... بل وحَتَّىٰ فى أحكام التجويد، وقد بدت أبعاض ملامح من ذٰلكَ سنتكلم عليها فى مكانها إن شاء الله تعالىٰ.

صاحب هٰذه المرحلة هو بسام جرار. عرفت بسام جرار أوَّل ما عرفته إبان إبعاده مع أكثر من أربعمئة شخص فلسطينى إلىٰ مرج الزهور عام 1992م فى القضية التى اشتهرت باسم مبعدى مرج الزهور. فترة الإبعاد التى دامت نحو سنة أثمرت عن أوَّل بحث متكامل فى العلاقات العدديَّة الإعجازية فى القرآن الكريم، وكان هٰذا البحث عن نبوءة زوال إسرائيل عام 2022م. وقد عرفته من خلال بحثه هٰذا الذى وصلنى مطبوعاً علىٰ الآلة الكاتبة ولم يكن الحاسوب معروفاً فى ذٰلكَ الحين، ثمَّ منشوراً فى مجلة إلىٰ الأمام الفلسطينية عام 1994م فيما أذكر.

وغاب بسام جرار عن السَّاحة ولٰكنَّهُ ظلَّ فى بالى، وعلىٰ الرَّغْمِ من أهمية بحثه البالغة من النَّاحية المنهجية فقد ظننت أنَّ الأمر توقف هنا ووجهت عنايتى إلىٰ تتبع الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم. ومع ذٰلكَ ظللت أرقب خبراً عنه، علىٰ نحو شخصى لا أكثر... حَتَّىٰ فوجئت منذ وقتٍ قريب، يعنى سنوات قليلة، بمنبره التَّواصلى ودروسه واكتشافاته الكثيرة والمذهلة فى إعجازات القرآن الكريم.

يمثل بسام جرار النُّقلة النَّوعيَّة الثانية الكبرى فى تاريخ الكشف عن الإعجاز القرآنى، وباستثناء نقلة المعنى الجديدة التى سأتكلَّم عليها بعد قليلٍ، فإنَّ كلَّ الباحثين فى الإعجاز العددى فى القرآن الكريم، ينهلون من معين مدرسته ومنهجه ونتائجه علىٰ الرَّغْمِ من بعض التَّمايزات التى سنتحدَّث فيها بعد قليل أيضاً تقديراً لأصحابها.

فى هٰذا الإطار أقول: صحيح أنَّ بسام جرار رائد مرحلة العلاقات العددية إلا أنَّنا عرفنا شخصين آخرين يستحقان التَّقدير أيضاً، لهما جهود جليلة وكبيرة وغزيرة فى إطار العلاقات العددية فى الإعجاز القرآنى هما الدكتور أحمد محمد زين المناوى والأستاذ عبد الدايم الكحيل. والحقيقة التى لا بُدَّ من الإشارة إليها إنصافاً وتوضيحاً أنَّ لكلٍّ منهما طريقة ومنهجية خاصة يتمايزان بها عن الأستاذ بسام جرار من جهةٍ. يتقاطعون من جهة ثانية عند بعض النقاط، ومن جهة ثالثة يشتركون فى بعض النقاط. ولٰكن مع

39 حقيقة نقد المعجزات بحث مكمل لهٰذا البحث وسابق عليه.

ذٰلكَ لدى متابعتهم تجد أنَّ لكلٍّ منهم نظامه الخاص ومنهجيته الخاصة فى استنباط المعجزات. وكل من هٰؤلاء الثلاثة جاء باكتشافات مدهشة أكثر مما تتخيلون.

وإنصافاً ولفتا للانتباه فإنَّ أحمد محمد زين المنَّاوى مع كونه امتداداً لمدرسة العلاقات العددية الإعجازية فى القرآن الكريم إلا أنَّهُ انفرد وتفرد بطريقة بمنهجيَّة خاصَّة وكشف عن معجزات فوق فوق فوق الخيال فى القرآن الكريم، كشف عن مئات كثيرة من محطات الإعجاز القرآنى كل واحدة منها فوق قدرات البشر مجتمعين ومتفرقين. كلها منشورة فى قناته علىٰ اليوتيوب التى حملت اسم طريق القرآن. ونشر عشرة كتب ضخمة جمعة ما وصل إليه حَتَّىٰ الآن منها: قطوف الإيمان فى ثلاث مجلدات، خاتم النبيين، شهادة المسيح، الحروف الساجدة، الأرقام تقرأ القرآن...[40] كشف فيها من المعجزات ما يرتجف منها القلب جزعاً وخشوعاً أمام قدرة الله تعالى.

مرحلة تجاوز المجاز

رائد هٰذه المرحلة بجدارة هو الدكتور على منصور الكيالى الذى ظهر وانتشر ببدايات مدهشة فى هٰذا الإطار. ولٰكن قبل ذٰلكَ، لتوضيح مسألة الإعجاز الدَّلالى وتجاوز المجاز فى القرآن الكريم أسرد لكم الحكاية التالية التى فيها المدهش العجيب وأترك التعليق عليها إلىٰ ما بعدها[41]:

قال الأصمعى: أقبل علىَّ أعرابى جلف جاف علىٰ قعود له، متقلداً سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال: من أين أقبلت؟

قلت: من مكان يتلىٰ فيه كلام الرحمن.

قال: أوللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ !

فقلت: نعم يا أعرابى.

فقال: اتل على شيئاً منه.

فابتدأت بسورة الذاريات ذروا حَتَّىٰ انتهيت إلىٰ قوله تعالى: «وفى السَّماء رزقكم وما توعدون».

قال الأعرابى: هٰذا كلام الرحمن؟

قلت: إى والذى بعث محمَّدا بالحق إِنَّهُ لكلامه، أنزله علىٰ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فقال لى: حسبك، فقام إلىٰ ناقته فنحرها بسيفه، وقطَّعها قطعاً بجلدها وقال: «أعنِّى علىٰ تفرقتها». فوزعناها علىٰ من أقبل وأدبر ثمَّ كسر سيفه، وقوسه، وجعلها تحت الرملة، وولَّى مدبراً نحو البادية وهو يقول: «وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا توعدون» يرددها.

فلما غاب عنى؛ أقبلت علىٰ نفسى ألومها، قلت: «يا أصمعى، قرأت القرآن منذ ثلاثين سنة، ومررت بهٰذه الآية وأشباهها فلم تتنبه لما تنبه له هٰذا الأعرابى!.

40 كل هٰذه الكتب صدرت عن دار طريق القرآن للنشر من بَيْنَ عامى 2015 و2017م، وكلها منشورة إلكترونيًّا ومتاحة مجاناً للراغبين.

41 القرطبى: **الجامع لأحكام القرآن** ـ تحقيق هشام سمير البخارى ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ 1423هـ/ 2003م ـ ج 17 ـ ص42.

فحججت السنة مع هارون الرشيد أمير المؤمنين، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا بهاتف يهتف بصوت رقيق يقول :تعال يا أصمعى، تعال يا أصمعى...

فالتفت؛ فإذا أنا بالأعرابى فأخذ بيدى وأجلسنى خلف المقام، فقال: اتل من كلام الرحمن الذى تتلوه. فابتدأت أيضا بسورة الذاريات، فلما انتهيت إلىٰ قوله «وفى السماء رزقكم وما توعدون»، صاح الأعرابى وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. ..

ثمَّ قال: يا أصمعى، هل غير هٰذا للرحمن كلام؟

قلت: نعم يا أعرابى، يقول الله عزَّ وجل: «فورب السَّماء والأرض إِنَّهُ لحق مثل ما أنكم تنطقون...»...

فصاح الأعرابى وقال: يا سبحان الله ..!من ذا أغضب الجليل حَتَّىٰ يحلف؟ أفلم يصدقوه حَتَّىٰ ألجؤوه إلىٰ اليمين...!! قالها ثلاثاً وخرجت روحه .

لاحظ وانتبه كم هو كلام الله تعالى فى هٰذه السورة واضح وبسيط. عشرات ومئات السنين والناس تتلوه علىٰ نحو ما كان الأصمعى يفعل؛ معنى بسيط قريب، كأنه مجاملة وتمضية وقت... بَيْنَما فيه كما رأىٰ الأعرابى أبعاداً أعمق بكثير جدًّا من البساطة والسطحية والمعنى العابر الذى نقرأ القرآن به. فإذا كانت هٰذه البساطة فى التَّعبير قد حملت هٰذا العمق وهٰذه القوة وهٰذه الأبعاد فما بالك فيما بدا لهم من باب المجاز وأبواب البلاغة الأُخْرَىٰ مما أشرنا إلىٰ بعضه بداية؟ مثل: والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، والنهار إذا جلاها، إذا السماء انفطرت، رجوماً للشياطين... وغير ذٰلكَ كثير جدًّا جدًّا؟

رائد هٰذه المرحلة بجدارة، كما أشرت فى بدايتها، هو الأستاذ على منصور الكيالى الذى ظهر وانتشر ببدايات مدهشة فى هٰذا الإطار.

كما كانت النقلة الثانية مرتبطة مع النقلة الأولى كذٰلكَ فإنَّ مرحلة تجاز المجاز مرتبطة بما سبق بالضرورة، فالنقلتان الأولى والثانية هما تجاوز المجاز إلىٰ الكشف عن ما وراء المجاز وما يتضمنه من معنى أو معانٍ إعجازية، ولٰكن مع هٰذه المرحلة فإن تجاوز المجاز هو امتداد للتفسيرات اللغوية القديمة من جهة، وتجاوز لما كان يسمىٰ مجازاً وإثبات أنَّهُ ليس مجازاً وإنما هو حقيقة لم يكن يمكن فهمها إلا علىٰ أنَّها مجاز من قبل، واليوم مع المعطيات الجديدة انكسر جدار المجاز وحواجزه وانكشفت الحقيقة، حقيقة أنَّ الصُّورة المرسومة فى القرآن الكريم هى صورة حقيقية وليست مجازاً.

هٰذه المرحلة منفصلة ومتمايزة عن مرحلة الإعجاز العلمى، فرق كبير بينهما، ولذٰلك استحقت هٰذه المرحلة أن تكون نقلة نوعية جديدة فى تاريخ الكشف عن الإعجاز القرآنى. هٰذه المرحلة مرتبطة بالاكتشافات والمعارف العلمية فى حقيقة الأمر، ولٰكنَّهَا فى الوقت ذاته تقوم علىٰ الصورة اللغوية التى كانت تبدو مجازاً من قبل، وما كان يمكن أن تفهم من قبل إلا علىٰ أنَّها مجاز، وحقيقته أنَّها ليست مجازاً وإنما هى تصوير دقيق لحقائق وجودية تم إدراكها مؤخراً نتيجة لتطور أدوات البحث العلمى وخاصة فى المجال الفلكى.

ذكرنا فى رأس الكلام هنا أنَّ رائد هٰذه المرحلة بجدارة هو الدكتور على منصور الكيالى. هٰذه حقيقة أكيدة حسب معلوماتى، ولٰكن لا يمكن إنكار وجودِ إرهاصاتٍ سابقةٍ تقترب مما انكشف علىٰ يدى على منصور الكيالى، ولا نبتعد كثيراً ففى أيامنا تابعنا الدكتور مصطفى محمود، والعلامة زغلول النجار فى كثيرٍ من بحوثه ودراساته التى تعجز عنها فرق بحثية كاملة، ولٰكنَّهُ فى كل أعماله ظل فى إطار الإعجاز العلمى ولم يصل إلىٰ درجة تجاوز المجاز التى تحدَّدت وتوضحت علىٰ يدى على منصور الكيالى.

هٰذا ليس تقليلاً من شأن أحد ولا رفعاً لشأن أحد، نتحدث فى خصائص مراحل الكشف عن الإعجاز القرآنى، فليس الجديد بالضَّرورة أفهمَ من الأقدم ولا أعرف منه، ولا أكثر منه تقوى وإيماناً.

ولٰكن، مع الأسف، ولا أبحث فى الأسباب، لم ينكشف فى إطار تجاوز المجاز إلا القليل، وبالمناسبة، وقبل أن أتابع فإن الأستاذ بسام جرار فيما استلمحت منه ولم يتحدث فى ذٰلكَ صراحة، له قراءات وكشوفات فى تجاوز المجاز لم يرد الحديث فيها وهو أدرى لماذا، لأنَّ إشاراته كانت فى أمور تحتاج ألباباً متقدة ومكتنزة. وهى مختلفة عن سياق نسق الكيالى، إنها ميدان ونهج مختلف.

أكرر، للأسف لم ينكشف علىٰ يدى الدكتور الكيالى إلا القليل جدًّا علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ يمتلك مفاتيح المتابعة التى تقوده إلىٰ كشوفات مذهلة أكثر مما بدأ فيه، فقد ترك الدكتور الكيالى متابعة هٰذه الحقائق واشتغل بما يطلبه الجمهور ولذٰلك تعرَّض أو عرَّض نفسه لاجتهادات خاطئةٍ ومثيرةٍ للريبة فى بعض الأحيان فى أمور كثيرة منها تعدد الزوجات، عذاب القبر، الزواج فى الجنة، آدام وحواء... وغير ذٰلكَ.

ما وقع فيه الدكتور الكيالى من أخطاء ليس موضوع تباين آراء واجتهادات كما هو الأمر بَيْنَ المفسرين أو الفقهاء فى بعض الأمور، لا، هو من باب مخالفة صريح القرآن والسنة. ولذٰلك لا أتحدث عن رأيه فى الجن، ومكان الجن، ومخلوقات أُخْرَىٰ فى كواكب أُخْرَىٰ... التى كان قوله فيها مما يحتمل الرأى حَتَّىٰ الآن.

مرَّةً أُخْرَىٰ يعيد السُّذج والسَّطحيون الكرَّة ذاتها بالطريقة ذاتها ضدَّ الكيالى. فاتَّهموه بالبهائيَّة والشعيَّة وسحبوا منه الدكتوراه... ولم يقفوا عند ذٰلكَ بل راحوا يطعنون بكلِّ ما جاء به ويصرون جكارةً به علىٰ الفهم المسطح من أجل تكذيبه فى كلِّ ما يقول. ومثلما حدث مع أحمد رشاد خليفة صار الأمر ثأرًا غبيًّا من الشَّخص بطريقة أو عقلية يأنفها الأولاد الصغار ويترفعون عنها... ولا أطيل فى ذٰلكَ.

العاقلون وهم قلة، منهم بسام جرار، نقد أخطاءه حَتَّىٰ من دون تسميته ولا أظنه إلا أشاد بصوابه.

هل يصعب نقد الأخطاء فقط؟

هل يجب أن ننسف كلَّ ما جاء به لأنه أخطأ هٰذا الخطأ أو ذاك حَتَّىٰ ولو كان متعمداً؟

للأسف، بعض هٰذا الهدم التام صادر عن شخصيات لها وزنها، وللأسف أيضاً أننا فى عصر الإنترنت؛ عصر كل من كان عنده حساب فيس بوك فهو فيلسوف ومفتى ومفسر.

خاتمة

تلكم محطات البحث فى الإعجاز القرآنى. من المؤكد المحقق أنَّها لن تتوقف هنا، واليقين بأنَّ هناك محطات قادمة ونقلات نوعية جديدة لم تكن فى الحسبان، فمن المحال، وقطعاً من المحال أن تنتهى هنا أو أن تتوقف هنا أبواب وأنواع معجزات الله تعالى فى القرآن الكريم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجائبه لا تنقضى»، أى معجزاته لا تنتهى... ومما نعرفه من المعجزات الآن يدل دلالةً قطعيَّةً علىٰ أننا أمام آفاق لا نهائية من المعجزات الإلهية فى القرآن الكريم، ناهيكم عن الآفاق الأُخْرَىٰ التى لم يطرق بابها بعد مثل الهندسة الصوتية علىٰ سبيل المثال. وهٰذا موضوع يمكن العودة إليه. وأضرب مثالاً بسيطاً ومعجزاً إعجازاً مدهشاً فى هٰذا الشأن:

قد بتكرر حرف مرتين متتاليتين فى أى لغة، ولٰكنَّ أن يتكرر الحرف ثلاث مرات متتالية فى الكلمة ذاتها أو اكثر من كلمة فهٰذا بحكم المحال. فى القرآن الكريم يتكرر الحرف ثلاث مرات متتالية بسلاسة وعذوبة، وقد تكرر ذٰلكَ مراراً. ولٰكن ما قولك إذا علمت أنَّ حرفاً واحداً تكرر ثمان مرات فى ثلاث كلمات بسلاسة وعذوبة ومن دون أى ثقل أو إرباك أو ارتباك، فى قوله تعالى: «وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ»؟.

علىٰ أى حال هٰذا باب لم يتم التوسع فيه بعد، وغالباً سنجد فيه الكثير الكثير.

المشكلة اليوم هى فى انفلات العقول والأفهام من عقالها بسبب ثورة الإنترنت بسبب الفى سبوك والتويتر واليوتيوب... لد صار كل من هب ودب يفتى ويفسر ويفترى وينسخ ويلصق من غير وعى حَتَّىٰ ضاعت المفاهيم وضاعت القيم، وكثر اللبس والاشتباه والتشويه. افتح الفيس بوك، اليوتيوب، التويتر، ستجد أشكالاً وألواناً مما يوقف شعر الرأس من الاجتهادات والمجتهدين الذين لا تعرف من هم فى ميزان العلم والعلماء، ولا تعرف قيمتهم ولا قدرتهم ولا مدى موثوقيتهم... وأكثر ما أعنى هنا الاجتهادات العجيبة الغريبة والمنافية أو المناقضة لصريح القرآن والسنة.

لسنا ضدَّ أىِّ كلام صحيح مهما كان قائله ولٰكنَّنا ضد التجديف والافتراء والهلوسة وما جرى مجراها. ومن المقبول أن تأخذ معجزة أو معجزات جاء بها هٰذا الشخص أو ذاك وتعيد إخراجها وتقديمها بشكل مختلف، ولٰكن ما الذى يمنعك من أن تشير إلىٰ أن مصدر هٰذه المعلومة هو هٰذا الشخص أو ذاك حَتَّىٰ نعرف من المسؤول؟

المصادر والراجع

ابن كثير: تفسير ابن كثير- إعداد إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - 1971م.

ابن ماجة: سنن ابن ماجة - تحقيق صدقى جميل العطار - دار الفكر - بيروت - 2003م.

أحمد رشاد خليفة: عليها تسعة عشر - دار المعرفة - دمشق - 1982م.

أحمد منصور: بالأدلة القرآنية رحلة ذى القرنين فضائية وياجوج وماجوج ليسوا على هذه الكرة الارضية - ملتقى أهل التفسير - 14/ 10/ 1433هـ الموافق لـ 31/ 8/ 2012م.

الباقلانى: إعجاز القرآن - دار المعارف بمصر - القاهرة - 1971م.

البيهقى: شعب الإيمان - تحقيق عبد العلى عبد الحميد حامد - مكتبة الرشد - الرياض -1423هـ/ 2003م.

البيهقى: معرفة السنن والآثار - تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى - جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشى/ الباكستان - 1991م.

الترمذى: سنن الترمذى - تحقيق صدقى جميل العطار - دار الفكر - بيروت - 2005م.

الجرجانى: دلائل الإعجاز - مكتبة الخانجى - القاهرة - 1984م

زغلول النجار (الدكتور): من آيات الإعجاز العلمى؛ الحيوان فى القرآن الكريم - دار المعرفة - بيروت - 2006م.

زغلول النجار (الدكتور): من آيات الإعجاز العلمى؛ السماء فى القرآن الكريم - دار المعرفة - بيروت - 2005م.

زغلول النجار (الدكتور): من آيات الإعجاز العلمى؛ المفهوم العلمى للجبال فى القرآن الكريم - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - الطبعة العاشرة 2008م.

الشعراوى: تفسير الشعراوى - أخبار اليوم - القاهرة - 1991م.

القرطبى: الجامع لأحكام القرآن - تحقيق هشام سمير البخارى - دار عالم الكتب - الرياض - 1423هـ/ 2003م.

المحرر: براءة اختراع دولية لأول قطرة عيون قرآنية - مجلة العربية - الرياض - العدد 224 - مضان 1416هـ – فبراير 1996م.

المحرر: بعد أكثر من 1400 سنة، علماء يابانيون إكتشفوا معجزة القرآن الكريم فى التين والزيتون - مجلة لها - بيروت - عدد 30/ 10/ 2014م.

محمد أحمد الصوفى (الدكتور): آيات الله فى الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل - المكتبة العصرية - بيروت - 2008م.

محمد أحمد الصوفى (الدكتور): آيات الله فى ممالك الكير والنحل والنمل والحشرات - المكتبة العصرية - بيروت - 2008م.

محمد إسماعيل الجاويش: من عجائب الخلق فى الكون العظيم - الدار الذهبية - القاهرة - 2005م.

محمد إسماعيل الجاويش: من عجائب الخلق فى جسم الإنسان - الدار الذهبية - القاهرة - 2005م.

محمد حسن قنديل: إعجاو القرآن العلمى وبالبلاغى - دار ابن خلدون - القاهرة - 2006م.

محمد على البار (الدكتور): خلق الإنسان بَيْنَ الطب والقرآن - الدار السعودية للنشر - جدة - 1983م.

منال المغربى: د. ليلى عبد المنعم، النابغة المخترعة والعابدة المتواضعة - شبكة الألوكة الثقافية ومجلة منبر الداعيات - 6/ 5/ 1433 هـ الموافق لـ 25/ 4/ 2012م.

يمام سامى: دراسة تؤكد أن حليب الرضاعة عند الأم يحدد جنس المولود - موقع مجلة هى - عدد الاثنين 19/ 6/ 2017م.